

## فيلم « القطيع »

عرض وتحليل

سيناريو : يلماز جوي

إخراج : زكي أكطن (١)

نجد، ضمن الإنتاج السينمائي التركي، حالة يلمازجوي الاستثنائية مطروحة باستمرار، فهو يمثل سابق، ومخرج لعدد هائل من الأفلام، وهو، كذلك، بطل شعبي لأسباب سياسية. ومن السجن الذي يوجد به منذ 1972 يواصل كتابة السيناريوهات ويشرف على دار للإنتاج.

و «القطيع» أحد هذه الأفلام، كتبه وأنتجه في هذه الظروف، وهو فيلم يُعَرَّب، يحكي تاريخاً، يثير، لكنه فيه أيضاً للخيال، المرتبط بالحقيقة الاقتصادية والاجتماعية، حجم سياسي.

ينتمي «شيبان»<sup>(2)</sup> إلى أسرة من البدو الرحل، يربي الغنم، أخذ نفوذهم — أي الرحن — يتناقص يوماً بعد يوم في مواجهة ظروف حياتية تزداد صعوبة، فرضها مشترى المواشي القاطنون بالمدينة الكبيرة، إن زوجة شيبان، التي تنتمي إلى عائلة منافسة، تختصر : قد أصبحت لا تستطيع الكلام، وظلت بدون أبناء (لقد فقدت في سن التاسعة عشرة ثلاثة أبناء). عيناها الحزينتان ونظراتها الثائرة الخائفة، أو المتحفظة المترفة بالجميل، وحدها تدل على أنها ما تزال على قيد الحياة.

إن شيبان مستعد لكل شيء من أجل أن تشفى، وبعد أن عرضها على المداوين وعلى الطبيب المغلين قرر أن ترافقه في الرحلة الطويلة بالقطار، رفقة القطيع الذي يجب تسليمه في أنقرة. وهناك، بعيداً عن عدوانية واستبدادية رئيس العائلة المعجوز الذي يظن أن «بهفان»<sup>(3)</sup> ترفض أن تعطي خلفاً لعائلتهم، كان يأمل — أي شيبان — بأنها ستشفى، وستبدأ — بالنسبة إليهما — حياة جديدة.

يرسم الفيلم، إذا تجاوزنا اللون المحلي، لوحة حقيقية لتركيا المعاصرة التي تزداد صورتها عنفاً وقمعاً من خلال ثلاثة مراحل وثلاثة أمكنة تتعاقب تاريخياً : الأول مكان تجمع البدو الرحل، فالأرض هناك صلبة صعبة، ولكن المساحات الشاسعة وألوان الجوخ لها ألوان لناعمة، والنساء يبين الحلويات فوق صفائح متفتحة، وعند حلول الظلام ينكشف الرجال أمام زوجاتهم (لقطات سريعة تمر من خيمة إلى أخرى...).

إن طريقة العيش قاسية تقليدية، يفرض الأب والتقاليد والظروف المادية والاقتصادية قانونهم على الجماعة، لكن يوجد، على الأقل، رابط قوي وتوافق معين بين الإنسان والطبيعة (اللقطات الرائعة الأولى للفرسان فوق المرتفعات تفقددهم الكاميرا، ثم تجدهم ثانية، ثم تقربهم بمصاحبة موسيقى من الأصوات التي يردد الفضاء صداها...).

بعد ذلك تأتي الرحلة الطويلة بالقطار إلى أنقرة، مرحلة طويلة تسمى عالماً قروبياً للانتقال إلى عالم مديني: الفساد، هجوم جماعة على القطار وفرارهم بعد أن سرقوا أربعة خرفان ذبحوها ثم وضعوها في

صندوق، البغاء داخل إحدى عربات القطار، هجرة سكان البوادي جميعا، وهم يشبهون قطيعا يقاد إلى الجزيرة بعد أن هلك نصفه — أي القطيع — أثناء السفر.

وأخيرا أنقرة («عاصمتنا» قال شبان بإعجاب)، المدينة المحايذة حيث يمتلك الأغنياء كل ما هو جميل، وحيث يجب انتظار ثمانية أيام لدخول المستشفى، وحيث يقتل بائع الصحف الثورية وسط الطريق، حيث يتصادم نوعان من الحضارة (تموت بريفان أيضا لأنها لم تتمكن من أن تعالج)، حيث تذوب العائلة، وحيث تنتهي مأساة ضحيتين، مأساة الحب والأمل المُهان<sup>(4)</sup>.

إن مهارة السيناريو تكمن في كون البطلين قد أصبح وضعهما نموذجاً. فصمت بريفان هو ثمرة ورمز لشعب كامل في ألمه الحارق ويؤسه الذي لا أحد له. فشبان وبريفان يشبهان الطائر في القفص الذي تركه بريفان عند أخت زوجها عند مغادرتها الربيع، لا يوجد أي مخرج لهما ولا يمكنهما إلا أن ينتقلا من السلطة الأبوية إلى السيطرة الاقتصادية، من السحر (الشعوذة) إلى الطب الآلي، من البؤس إلى الاستغلال... إن الشاب المدني، ولد ابن عم شبان، وحده يستطيع الوصول إلى وعي سياسي وبناضل.

وتزيد الموسيقى الصافية جدا، المكونة من أصوات وأنغام المزامير والدفوف، من مأساوية وغنائية هذا العمل السينيائي.

هوامش :

- (1) أخرج زكي أقطن هذا الفيلم تابعا لملاحظات جوني بلماز الموجود بالسجن (م)
- (2) بطل الفيلم (م)
- (3) زوجة ششان (م)
- (4) إن موسوع «الأمل المُهان» من طرف الواقع السياسي، يوجد أيضا في فيلم سابق لجوني بلماز «الأمل» (1970).

عن مجلة «سينيا» الفرنسية عدد 261 شتير 1980  
مقال لكاترين طاكوني